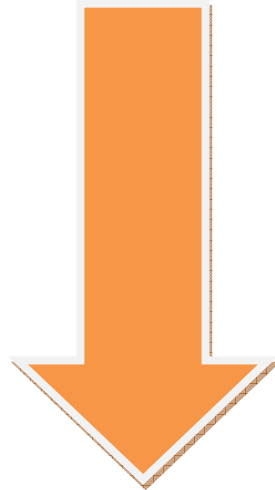


التقديم :

<https://nidaulhind.blogspot.com>

مدونة علمية دعوية فكرية

(راجيا دعائكم)



## العلامة فضل حق الخير آبادي في ضوء قصائده الغراء

د / عبد الناصر علي\*

### ملخص

1 كانت **شبه القارة الهندية** معروفة بثراوتها التجارية والثقافية لفترة كبيرة من تاريخها الطويل وكانت لها صلات مع الأمم حولها لاسيما بلاد فارس والجزيرة العربية، وهذه الظاهرة لها قد حفزت الشركة الشرقية الهندية للتجارة معها ثم السيطرة عليها. وقد عزم سكانها على إجلاء المستعمرين الأجانب من البلاد تحت زعامة الملك المغولي بهادر شاه ظفر وشارك في هذه الثورة من العلماء والأدباء والشعراء المتضلعين في الثقافة والبارعين في اللغة العربية وآدابها وكان من أبرز هؤلاء العلماء والمتقنين العلامة فضل حق بن فضل إمام الخيرآبادي (1797- 1961) الذي لعب دورا رياديا في استنهاض الهمم ورفع المعنويات للثوار والمكافحين في سبيل الحرية والاستقلال ولسوء الحظ فشلت الثورة ونفي العلامة إلى جزيرة أندومان لقضاء بقية حياته فيها فلم يزل رهين الحبس في الجزيرة المذكورة حتى وافته المنية بتاريخ 20 من أغسطس 1961. وهنا كتب العلامة القصيدتين باللغة العربية وتكمن في طياتهما الأحوال الحقيقية عن المعارك التي دارت أثناء الثورة بين المواطنين الهنود ومستبديهم الغاشمين وعن المظالم والمحن التي مر بها العلامة خلال أيام سجنه في جزيرة أندمان، فهاتان القصيدتان وثيقتان تاريخيتان مهمتان لأن العلامة رأى كل ما حدث أثناء الثورة بعينه ثم ذكرها في كتابه الثورة الهندية نثرا وفي القصيدتين شعرا [1].

### الكلمات المفتاحية:

الثورة، الشركة الشرقية الهندية، الاستعمار الأجنبي، القصيدة الرائية، والدالية/ والميمية، والهائية، والهمزية، أندمان.

تعتبر الهند من الأمم العريقة ذات الثقافة والحضارة العالية القديمة، التي كانت لها على مر التاريخ صلات مع الأمم حولها لاسيما بلاد فارس والجزيرة العربية، ولكون أرض الهند خصبة وموسمها معتدلا وموقعها جذاباً على خريطة

\* المحاضر الضيف، مركز الدراسات العربية والإفريقية، بجامعة جواهر لال نهرو، دلهي الجديدة.

العالم، رغب الأجنب في التجارة معها ثم بثوا سيطرتهم عليها، وتتضح أهمية الهند من أقوالهم ورحلاتهم إلى الهند كما قالوا: أن المحصولات والمنتجات الهندية عجائب الدهر ونوادرها، وفي رد على سؤال عمر رضي الله عنه قال سائح: بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عطر<sup>1</sup>.

وهذه الظاهرة الباهرة لهذا البلد قد حفّزت الشركة الشرقية الهندية بريطانية المستقر على شدّ الرحال متوجهة الى شبه القارة الهندية قبيل أواخر القرن السابع عشر الميلادي ففي بداية الأمر لم يكن من أهداف هذه الشركة إلا نقل البضائع التجارية من القارة الهندية إلى الدول الأوروبية وكسب الأرباح الفادحة ببيع هذه البضائع الهندية في الأسواق الأوروبية ولم تزل هذه الشركة تزاوّل هذه التجارة الربحة حتى وجدت الفرصة للتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد وللتآمر مع القوات المناهضة للدويلات المحلية وبمرور الزمن شاءت الأقدار أن تكون النصره حليفا لهذه الشركة التجارية في تحقيق مطامحها السياسية والإدارية وبدأت الدويلات الهندية تتساقط واحدة تلو الأخرى كأوراق خريف الشتاء وحتى أصبحت الهند كلها تحت سيطرة الاستعمار الأوربي.

قد التهب نار الثورة في مدينة "ميرت" الكائنة على بعد سبعين كيلو ميتر من عاصمة البلاد دلهي بسبب الخراطيش المخلوطة بشحوم الأبقار والخنازير فلما علم الهنود العاملون في الجيش البريطاني حقيقة هذه الخراطيش رفضوا استعمالها بدليل أن لمس هذه الخراطيش أو فتحها بالضم قبل استعمالها ممنوع منعاً باتاً حسب تعاليمهم الدينية. وبالرغم من ذلك عندما أجبرهم الضباط البريطانيون على استخدامها أطلق واحد منهم النار عليهم وأردى بعضهم قتيلاً وإثر ذلك أجريت محاكمة هذا العسكري الهندي وتم شنقه وهذه الأمور كلها أذكت عواطف المواطنين الهنود فهم عقدوا العزم على إجلاء المستعمرين الأجنب عن البلاد تحت زعامة الملك المغولي الأخير بهادر شاه ظفر.

وفي هذه المبادرة الثورية شارك كثير من العلماء والأدباء والشعراء المتضلعين في الثقافة والبارعين في اللغة العربية وآدابها وتكاتف الثوار المناضلين

<sup>1</sup> - الأخبار الطوال للعلامة أبي حنيفة أحمد بن داؤد الدينوري، ص 310، الطبعة الأولى سنة 1330هـ بمطبعة السعادة بمصر

ضد النفوذ الأجنبي واستخدموا بدلا من العدة والعتاد أعلامهم وبراغمهم للمحاربة ضد العدو الغاشم الذي قد احتل البلاد بمنتهى المكر والخداع وكان من أبرز هؤلاء العلماء والمثقفين العلامة فضل حق بن فضل إمام الخيرآبادي (1797-1961) الذي لعب دورا رياديا في استنهاض الهمم ورفع المعنويات للثوار والمكافحين في سبيل الحرية والاستقلال وهو في هذا الأمر لم يكن خائفا من قوة الاستعمار الأجنبي الذي كان بحوزته أسلحة فتاكة مدمرة وفي حين اندلعت الثورة أنه كان موظفا مرموقا في بلاط الأمير لدويلة "الور" وكان يعيش في مهد الهناء والرخاء والسعادة إلا أنه قد ولى وجهه عن كافة وسائل العيش الرغد وخاض بدون تردد المعركة ضد الإنجليز الغاشم واقترب لأجل هذا الغرض من الملك المغولي بهادر شاه ظفر الذي كان يتشاور معه في عديد من الأمور الإدارية والحربية وكان يعتمد عليه اعتماداً كاملا وكان العلامة هو الآخر يآتمنه ويعتبره رمزاً لشوكة الإسلام والمسلمين في الهند.

ومن المعروف أنه بإيعاز من الجنرال بخت خان أحد زعماء الثورة جمع ثلة من العلماء والفقهاء في المسجد الجامع الكبير في دلهي وطلب منهم إصدار فتوى ضد الاستعمار البريطاني وأعماله التعسفية وهذه الفتوى قد حثت المواطنين كافة على شن الإغارة على مؤسسات ومستعمرات ومعسكرات الإنجليز في الهند وكانت النتيجة لذلك أن أكثرية الشعب الهندي قد شاركت في عملية الجهاد ضد الحكومة الأجنبية وكبدها بخسائر فادحة إلى أن الحكومة البريطانية بإنجلترا قد تدخلت في الأمور الهندية وانتزعت السلطة من الشركة الشرقية الهندية وبدأت تحكم بلاد الهند مباشرة وإثر ذلك أعلنت الملكة فيكتوريا العفو العام لكل من شارك في الثورة وبذلت جهدا جهيدا لإعادة الأمن والأمان في الهند. فخرج كثير من الثوار من مخابثهم ومكانهم وكان العلامة الخيرآبادي واحداً منهم. فقد خرج اعتمادا على ما أعلنته الملكة من العفو العام إذ أنه لم يكن يعرف أن الإعلان المذكور هو مجرد مكيدة بمثابة حيلة الدبك التي تتخذ بها الطيور وتصير بسهولة فريسة للصيد وقد أشار العلامة الخيرآبادي بنفسه إلى هذه الحقيقة المؤسفة قائلاً:

إني بلاني خدعة امرأة بلى  
كيد عظيم ما تكيد النساء  
يخلبن خلقا بالمواثق ثم لا  
لعهودهن وعهدهن وفاء

فأنتيت داري آتباً إذ غرتني  
 قوماً نبت بهم الديار وناؤوا  
 إذ غرهم ميثاقها رجعوا الى  
 أوطانهم مستبشرين وفاؤوا  
 إيمان كافرة لها استيلاء<sup>1</sup>

ولما عرف العلامة أن السلطات الأجنبية خبيرة بأعماله الثورية وتحاول لإلقاء القبض عليه. فغادر بلده وترك جميع ممتلكاته واختفى إلا أنه بعد الوقوف على إعلان العفو العام من قبل الملكة فيكتوريا خرج من مكمنه والسلطات الأجنبية ألقَت القبض عليه واتخذت الإجراءات لمحاكمته وتم مثوله بين يدي المحكمة وقد جرت محاكمته لفترة وجيزة ويقال أن قاضي المحكمة كان يعرف منزلته العلمية ويقدر إنجازاته في مضمار الحكمة والفلسفة والأدب فكان متودداً له ومتعطفاً عليه وكان بقلبه يحرص على إطلاق سراحه ومن ثم كان يبحث عن مواطن الضعف في قضيته لتبرئته من تهمة الثورة وأنه قد وجد هذه الفرصة عندما قال الجاسوس الذي ألقاه في هذه المعضلة إن هذا الرجل المتهم (العلامة الخيرآبادي) ليس ممن وضعوا توقيعاتهم على محضر الجهاد والأمر قد اشتبه عليه وفي الحقيقة الشخص الذي رأيته يوقع المحضر هو شخص آخر واسمه فضل حق الشاهجانبوري وبما أن القاضي كان في انتظار مثل هذا البيان فإنه أصدر حكماً يحمل براءته من اتهام مشاركته في أعمال الثورة ولكن العلامة أدهش جميع الحضور وقال أنا هو الشخص الذي يوجد توقيعه على المحضر أنا هو الشخص الذي حرص العلماء على إعداد وإجراء فتوى الجهاد وأنا المسؤول عن تحركات ثورية ضد الحكام الأجانب في بلدي. وقد وقع القاضي في موقف حرج بسبب كلمات العلامة السابقة الذكر واستطرد العلامة قائلاً: يوم الحشر لا أود أن أقابل ربي وعلي وزر الكذب ولذا يجب علي أن أقول قول الحق ولو أتى هذا الحق بالمحن والأحزان. فهذه الشهادة على نفسه لم يبق له أي منفذ لإطلاق سراحه وكذلك لم يبق للقاضي أي مبرر لإنقاذه من العقوبات فإنه بقلب كئيب أصدر حكماً لنفيه المؤبد إلى جزيرة أندمان الكائنة بخليج بنغال وبموجب هذا الحكم الصارم تم نقله في 1858 إلى الجزيرة المذكورة حيث قضى بقية حياته في ظروف قاسية وأحوال سيئة.

<sup>1</sup> - العلامة فضل حق الخيرآبادي، مخطوطة الثورة الهندية، مع القصيدتين الهزمية والدالية، ص 64-66

وبقي العلامة في هذه الحالة حتى سمع عن العفو العام من قبل الملكة فيكتوريا ورجع إلى أهله وداره ولكن سرعان ما تم إلقاء القبض عليه وجرت محاكمته في لكتناؤ وفي نهاية الأمر نفي إلى جزيرة أندومان لقضاء بقية حياته فيها فلم يزل رهين الحبس في الجزيرة المذكورة حتى وافته المنية بتاريخ 20 من أغسطس 1961.

وفي الأيام الأخير حاول أولاد العلامة وقد بذلوا جهداً جهيداً لإطلاق سراحه وإعادةه إلى أرض الوطن وفي هذا الشأن انهم اتصلوا مباشرة بسلطات الحكومة البريطانية وأوضحوا لها أن العلامة لم يكن يتوقع أن إعلان العفو العام من قبل الملكة فيكتوريا هو مجرد خدعة ومكيدة وليس الغرض منها إلا إغراء الثوار بالخروج من مخابثهم وكذلك أثبتوا لها أن العلامة لم يقتل شخصاً ولم يشارك في الأعمال الإجرامية أياً كان ولم يكبد أحداً من الإنجليز أي ضرر وأذى أو خسارة وهو ليس ممن ارتكبوا الجرائم البشعة وعلاوة على ذلك فإن والده كان موظفاً مرموقاً في الشركة الشرقية الهندية وقام بخدمتها طوال عمره ولم يقصر قط عن واجباته الرسمية فكان يحظى بسمعه عالية لدى الحكام الانجليز وبناء على هذا كله اصدرت السلطات البريطانية حكم اطلاق سراحه وسمحت له بالرجوع إلى أسرته وموطنه فذهب واحد من فلذات كبده وهو شمس الحق بهذا النبأ السار إلى إندومان ليرجع به إلى مسقط رأسه. وفي هذا الصدد يقال إنه لما وطأت قدماه سواحل بورت بليز بجزائر إندومان رأى موكب جنازة فسأل شخصاً: لمن هذا الموكب؟ فجاء الرد: " للعلامة فضل حق الخيرآبادي" فشيح شمس الحق هذا الموكب وشارك في أداء الطقوس المتعلقة بدفن الموتى من المسلمين ورجع إلى بلده خائباً وخاسراً وصفر اليدين.

وذكر العلامة هذه الأوضاع المؤلمة في قصيدتيه الهزمية والدالية المنظومة باللغة العربية. وألفهما العلامة سراً واستخدم الفحم لكتابتهما على جدران غرفته في السجن والبعض من رفقاته الذين كانوا يعرفون اللغة العربية ويكتبون هذه الأبيات على أوراق مبلوثة ممزقة أو قطع من الثياب البالية أو ألواح من الخشب وهؤلاء الرفقاء كانوا يرسلون هذه الأبيات إلى مدينة كولكاتة حيث كان يعيش أخوه الذي كان بدوره يجمع هذه الأبيات في مسطرة ويرتبها في صورة قصيدة وهاتان القصيدتان اللتان سماهما العلامة "فتة الهند وكتابه الآخر

"الثورة الهندية" تكمن في طياتها الأحوال الحقيقية عن المعارك التي دارت أثناء الثورة بين المواطنين الهنود ومستبديهم الغاشمين وعن المظالم والمحن التي مر بها العلامة خلال أيام سجنه في جزيرة أندمان وفيما يتعلق بكتابه "الثورة الهندية" فهو في الحقيقة يتضمن ذكر مقاومة الهنود العنيفة ضد الاحتلال الأجنبي. ويعبر العلامة نفسه في كتابه قائلًا: هذا وقد وصفت بعض ما نابني، ونبداً مما أصابني في قصيدتين أحدهما همزية تحكي همزات الشياطين، والأخرى دالية دالة على ما يعاني هذا الحزين المزمين، وختمها بمدح سيد المرسلين، الرسول المكين والأمين، عليه أزكى صلوات المصلين وتسليمات المسلمين.<sup>1</sup>

هاتان القصيدتان وثيقتان تاريخيتان مهمتان لأن العلامة رأى كل ما حدث أثناء الثورة بعينه ثم ذكرها في كتابه الثورة الهندية نثرًا وفي القصيدتين شعراً. ومن المؤسف جدا أن هاتين القصيدتين لم تحظيا بالإقبال والتجاوب بين الناس والسبب وراء ذلك عدم نشرهما على نطاق واسع في الهند.

وأيا كان الأمر فإن القصيدة الأولى وهي القصيدة الهمزية تشتمل على مائة وستة وثمانين شعراً، وقد بدأها العلامة بذكر كيفية اعتقاله بعد نهاية الثورة، ثم أتى بذكر أحوال نفيه إلى الجزيرة الموبوءة، ثم ذكر الصعوبات التي عاناها أثناء حبسه في جزيرة أندومان، ثم أتى بأبيات في مدح النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما القصيدة الثانية وهي القصيدة الدالية فهي تشتمل على مائة شعر. وقد بدأها بذكر أمراضه وصعوباته التي عاناها أثناء حبسه في الجزيرة، ثم ذهب إلى الخلف شيئاً وألقى الضوء على أحوال بداية الثورة ونهايتها، ثم أتى بذكر الأيام التي تلت نهاية الثورة من قتل واعتقال الهنود. ثم أتى بأشعار في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، وقال في نهاية القصيدة: تمت القصيدتان في شهر رجب سنة 1276هـ يعني ألفاً ومائتين وستاً وسبعين من الهجرة المقدسة النبوية على صاحبها أزكى الصلوة والتحية، وأنا محبوس في الجزيرة الوبية، نجاني الله سبحانه منها برحمته الوسيعة وقدرته البديعة، بجاه حبيبه وآله وعترته عليه وعليهم أزكى الصلوات وأسنى التسليمات.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - العلامة فضل حق الخيرآبادي، مخطوطة الثورة الهندية، مع القصيدتين الهمزية والدالية، ص 61- 62

<sup>2</sup> - العلامة فضل حق الخيرآبادي، مخطوطة الثورة الهندية، مع القصيدتين الهمزية والدالية، ص 120

نظم العلامة قصيدة أخرى وهي القصيدة النونية وأتى فيها بأبيات تقدم تاريخ الثورة وأسبابها ووقائعها وخيانات بعض الأمراء وخراب دهلي وخروجه منها، وأن القصيدتين الهزمية والدالية قد قرضهما العلامة جالسا داخل خليته في السجن، وأما هذه القصيدة النونية فقد نظمها العلامة بعد الثورة مباشرة قبل نفيه إلى جزيرة أندومان. وقد أشار العلامة في الثورة الهندية إلى هذه القصيدة فقد قال في نهاية الرسالة: وكنت قد نظمت قبل قصيدة، في قوافي النون، فريدة كالدر المكنون، كل بيت منها بيت القصيد، بل بيت مشيد، عدد أبياتها ثلثمائة أويزد، لم يتيسر لي إتمامها، عاقني هجوم البلايا وارتماها، مطلعها: ماناح أورق في أوراق أشجان إلا وهي أشجاني وأشجاني

فإن من علي ربي الخلاق، بالتخليص والإطلاق، ذيلتها بحسن التخلص بمدح من خص من مكارم الأخلاق، بأوفى خلاق، عليه وعلى آله أخلق الصلوات إلى يوم التلاق، والله سبحانه ولي التوفيق والإحراق.<sup>1</sup>

ونحن بصدد ذكر قصيدتين الهزمية والدالية، فأما القصيدة الهزمية تصور فيها العلامة حاله في السجن إثر نهاية الثورة الكبرى في الهند عندما كان ينتظر محاكمته وإصدار القضاء في حقه، فيقول:

لجوى له بجوانحي إيـراء	جمد الدموع وذابت الأحشاء
ولما ألم من النوائب والنوى	يبكي الصديق ويشمت الأعدائي
قد كنت في عز وجاه كان في	أعيان أعيان به أقدأ
أسى الصديق على أساى وحرار من	حوري وفي أسوى أساء إساء
شمت العدى اذ حال حالي واعتري	ما شاء بي المساء والوشاء
المّ المّ بنا وهمّ همنا	ونوى لنا منهـا بلى وبلاء
حلت عظام مصائب جلت بها	وهن العظام ودقت الأعضاء <sup>2</sup>

ثم يكشف العلامة النقاب عن كيفية سيطرة الإنجليز على الهند بمساعدة من بعض الهنود، ويقول بمنتهى الصراحة أن الإنجليز قد خربوا ديار الهند وهدموا المساجد والمعابد بدون هوادة للديار وللمساجد والبيوت وكما

<sup>1</sup> - العلامة فضل حق الخيرآبادي، مخطوطة الثورة الهندية، مع القصيدتين الهزمية والدالية، ص 62

<sup>2</sup> - العلامة فضل حق الخيرآبادي، مخطوطة الثورة الهندية، مع القصيدتين الهزمية والدالية، ص 63- 64



يكتب عن مناظر الصويات والمتاعب التي مربها الهنود إثر سيطرة المستعمرين

الأجانب على الهند، إذ هو يقول:

قد سلط الأنصار في أمصارنا  
لم يعلموا ان لا وفاء لهم ولا  
من قبل ولاهم عليها من لها  
والآن اذ نصر النصرى افراطوا  
فتفرقوا أيدي سبا واداركت  
عال الغني وذل ذوعز كما  
قتلوا وغالوا جل من اخذوا وهم  
غالوا براياهم برايا غيلة  
كم خربوا بلدا ولم يذرو به  
هدوا المساجد والقصور كانها  
بخست بخستهم زروع الارض من  
قدروا على الناس والمعاش فقدر  
فظهورهم ثقلت باوزار بما  
افهل العـدوان تعدى حده  
لم اقترف ذنبا سوى أن ليس لي  
فولائهم كفـر بنص محكم  
كيف الولاء وهم اعادي من له

أن صار انصاراً لهم سفهاء  
أن لا لهم مندوحة ووقاء  
إذ صده عنها غنى وغناء  
في الظلم فاخترم الضعاف جفاء  
فرقا كثيرا اخذة وسبأ  
هان الخطير وصغر الكبراء  
مما ادعوا من جرمهم براء  
فجرت كما انفجر العيون دماء  
بلدا فصار كأنه بيـداء  
لم تبين لم يك ثم قط بنـاء  
شؤم فلا ريع لها ونماء  
هم ان لا غذاء عندهم وعشاء  
شحنت بطون صدورهم شحناء  
حد وهل للمعتـدين جزاء  
مع هؤلاء مـودة و ولاء  
ما فيه للمرء المحق مـراء  
خلق السماء والارض والانشاء<sup>1</sup>

ثم أتى بأبيات في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فيقول:

هو أول النور السنن تبلجت  
هو أول الانبياء آخرهم به  
بدء به أبدى المهيمن سره  
قد حصه الباري بأوصاف على  
أعطاه فضلا ليس يمكن أن  
اسماه اذا سماه بالحسنى فمن

بضياته في العالم الاضواء  
ختم النبوة وابتدا الإبداء  
فلأجله الايداء والابداء  
لم يعطها الأحداث والقدماء  
يكون له شريك فيه أو شركاء  
أسماء خالقه له أسماء

<sup>1</sup> - العلامة فضل حق الخيرآبادي، مخطوطة الثورة الهندية، مع القصيدتين الهزبية والدالية، ص 81 - 85

برر حيم مفضل ذوقوة هاد رؤف محسن معطاء<sup>1</sup>  
 وختم العلامة هذه القصيدة بالدعاء إلى الله تعالى راجيا منه أن يفر له  
 ذنوبه وينجيه من الكرب العظيم الذي يعانیه في المنفى ومن دعواته:  
 يا رب حقق لي رجائي ولا يكن  
 قد قمت ازجى القاعدين الى الوغى  
 أجرمت اذا حجت من كسل فلم  
 رب اعف عني ما اقترفت واعفني  
 إن جم إجرامي فعندك رحمة  
 فاغفر وعاف وتب على فنجني  
 ان كان ما شكوة مقضيا فكم  
 لا تشقني أبدا واسعدني فلا  
 لي في النجاة من العدى أرجاء  
 وقعدت لما قامت الهدجاء  
 اشهد اذا ما استشهد السعداء  
 فرجائي منك العفو والاعفاء  
 ما حد ها حد ولا إحصاء  
 مما ابتلاني الخصم و المشاء  
 بدعاء مظلوم يرد قضاء  
 نيتاب من بعد السعود شقاء<sup>2</sup>

وأما القصيدة الدالية تبدو امتدادا للقصيدة الهزمية فقد بدأ العلامة  
 الخيرآبادي هذه القصيدة أيضا بذكر الأحزان والآلام والكآبة التي ملأت قلبه  
 والأمراض العديدة التي أصابته بعد أجبر على قضاء حياته في جزيرة أندمان  
 الموبوءة، فيستهل هذه القصيدة مخاطبا حبيته على طريقة الشعراء القدماء،  
 فيقول:

عودي فعودي مريضا داءه عادي  
 عواد سقم قلى عواده ولها  
 واعتاد عيد ودى كل الاساة به  
 داء دواه عيـاء لا دواء له  
 ويلاه من زمن لا يشتفي زمننا  
 دائي عضال ولايجدي بعائدة  
 حشا حشاي جوى يشوي الجوانح  
 كم بين نار حشا التتور موقدها  
 وبين نارجوى يصلى جوانحنا  
 أشفى على الحين حتى عاده العادي  
 وكان يلهى بزمار وعواد  
 فعاد كلا على أهل وعواد  
 حمامه حاضر من سقمه البادي  
 علاجه ليس يجدي غير إكماد  
 عود لداء بعواد الداء عواد  
 والحشا كنار غضا تورى بإقاد  
 وقودها حطب من بعض أعواد  
 وقودها من حشا منا وأكباد

<sup>1</sup> - العلامة فضل حق الخيرآبادي، مخطوطة الثورة الهندية، مع القصيدتين الهزمية والدالية، ص 85- 86  
<sup>2</sup> - العلامة فضل حق الخيرآبادي، مخطوطة الثورة الهندية، مع القصيدتين الهزمية والدالية، ص 95- 96

ولا سعاد تداريني بإسعاد  
من كان يعرفني من يوم ميلادي  
تنقص في القوى والجسم مزداد  
قلبي وروحي وجثماني وأجلادي<sup>1</sup>  
ثم يقول العلامة في قصيدته عن أندمان وجوها وطقسها، كما يتذكر  
الأيام والليالي التي قضاها في الجزيرة مواجهها صعوباتها ومتاعبها والعقوبات التي  
أنزلها الإنجليز عليه، ومنها:

أرواحه تنزع الأرواح من خبث  
خاب المنا والمنا قد عم فيه وما  
يفيض فيه هموما جمّة أبدا  
فلا يرى فيه يوما ضوء شمس ضحى  
يومي كليلي وليلي سرمد تقف  
كانت كأيامنا ببيضايا جرنا  
كيف احتيالي لإطلاقي وقد ضربت  
كيف الخلاص وخصمي ظالم شكس  
أغرى النصارى بتعذيبي زنادقة  
غاظلوا وجدوا ولجوا في معاقبتي  
أيست من أملي إذ قطعت حيلي  
كالظبي في جرة أمسي يناوصها  
رجوت ناسا رجا من أمحلو سحبا

وكتابه في الحكمة الإلهية المعنونان بـ الهدية السعدية في الحكمة  
الطبيعية، والروض الموجود في تحقيق حقيقة الوجود خير شاهد على براعته  
الفائقة في العلوم العقلية وبالإضافة إلى هذا كله فإنه كان يمتلك نواصي الشعر  
والأدب العربي، وكان يقرض الأبيات باللغة العربية وكان الكلمات والتعابير

<sup>1</sup> - العلامة فضل حق الخيرآبادي، مخطوطة الثورة الهندية، مع القصيدتين الهزمية والدالية، ص 100-102

<sup>2</sup> - العلامة فضل حق الخيرآبادي، مخطوطة الثورة الهندية، مع القصيدتين الهزمية والدالية، ص 111-113

والتراكيب التقليدية تصطف أمامه وهو يختارها ويستعملها في كلامه البليغ بدون تكلف وعرقلة فما خطرته بباله أية فكرة إلا وكان يسكبها بجدارة في قوالب الشعر وكانت قريحته الفياضة لاتجد أي مانع في نظم خواطره ومشاعره فبفضل هذه الموهبة الخارقة خلف وراءه أكثر من أربعة آلاف بيت باللغة العربية وهذا الكم الهائل إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على تضلّعه الفائق في اللغة العربية وآدابها ومن الجدير بالذكر هنا أن معظم أبياته العربية في مدح النبي وكل من يقرؤها يجدها مفعمة بصدق العاطفة وحرارة القلب الملتاع المنغمس في الحب النبوي. وطريقته هي أنه ينظم القصيدة في أي موضوع من الموضوعات الشعرية ويختتمها بأبيات في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يعني ذلك أنه يأتي بيت أو بيتين في مدحه في خاتمة القصيدة، بل هذه الخاتمة قد تبلغ بعض الأحيان إلى عشرات من الأبيات المتينة في مدح سيد البشر، وفي كثير من القصائد يتبع الأبيات في المدح بأبيات يدعو فيها النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع له إلى الله بالمغفرة والهداية، وأحياناً يدعو الله مباشرة للمغفرة بفضل رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم. نجد قصيدة العلامة الخيرآبادي البائية التي تشتمل على ستة وسبعين بيتاً، وآخر أبياتها يتضمن مدح النبي صلى الله عليه وسلم ومنها:

وأول رسل الله آخرهم فمنا	له من مساو في العلى ومقارب
مكين مثيل مثله ليس ممكنا	وويل لمشكوك عن الحق ناكب
يفوق النبين الكرام نقيبة	فمنه استفادوا ماله من مناقب
سما فوقهم كالشمس فوق كواكب	السموات أوكالمك فوق الكواكب
له خلق الله الأراضى والسماء	وما بينهما أو فوقهما من عجائب
فلولاه لم يوجد خمير وطنية	لأدم فضلا عن وليد وعاقب
ولو لم يكن في صلب نوح لما استوت	سفينته بعد التطام الغوايب
ولولاه في صلب الخليل لما نجا	بيرد لهيب لاقح الحـرثاقب <sup>1</sup>

وللعلامة قصيدة دالية تشتمل على مائة واثنين وعشرين بيتاً نصفها الأول في الحب والغرام، وأما النصب الأخير فهو في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها:

<sup>1</sup> - قصائد العلامة فضل حق الخيرآبادي، المخطوطة، مكتبة مولانا آزاد، جامعة عليجراه الإسلامية، ص 6

بدر الهدى جلى سناه دجى الورى  
هو رحمة عم العوالم إنها  
لولاه لم يكن الوجود ولم يكن  
بر رحيم مصلح لصلاحه  
وقصيدة الرائية التي تحتوي على مائة وخمسة وعشرين بيتا ، وهذه  
القصيدة كلها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، ومنها:

رؤف رحيم ففتح خاتم هدى  
وأمثهم خلقا وخلقاً فمهاله  
أخير يفوق الأولين بأسرهم  
بدا دينه كالشمس في الضحو مشرقا  
أتانا بذكر تلمثن بذكره  
سراج منير للعوالم نور  
مثيل مساو في العلى ونظير  
وكم أول يربو عليه أخير  
ولاغرو أن يرتاب فيه كنور  
قلوب ويشفى ما شتكته صدور<sup>2</sup>

للعامة قصيدة سينية مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم كما يلي:

خير الخلائق أرضاهم وأحمدهم  
حامي الحقائق مبدئها ومبدأها  
ماذر من ذرة إلا ومخرجها  
محمد خير من ساد الأنام ومن  
وكم أغاث فغاث الأرض ودعوته  
أومي إلى القمر البادي بإصبعه  
خلقا وخلقاً رسول الجن والإنس  
حق بدا وتجلي غير ملتبس  
من الظلام بنور منه منعكس  
جلى الظلام بنور غير منطمس  
بقطر غيث بقطر ممحل بيس  
فانشق منه انشقاق الأثواب الدرس<sup>3</sup>  
وكذلك قرض العلامة قصيدة عينية مدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً:

قد اختصه الباري بأعلى فضائل  
به ختم الله النبيين وابتدأ  
نذير نظور مستحيل نظيره  
فهذا هو الحق اليقين فلا تقل  
خصائص تأبى الاشتراك وتمنع  
به الخلق بل لولاه لم يك مبدع  
بشير بشير باسم البشر أروع  
كما كان يهذي ساكع متسكع<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - قصائد العلامة فضل حق الخيرآبادي، المخطوطة ، مكتبة مولانا آزاد ، جامعة عليجراه الإسلامية ، ص 9

<sup>2</sup> - قصائد العلامة فضل حق الخيرآبادي، المخطوطة ، مكتبة مولانا آزاد ، جامعة عليجراه الإسلامية ، ص 15

<sup>3</sup> - قصائد العلامة فضل حق الخيرآبادي، المخطوطة ، مكتبة مولانا آزاد ، جامعة عليجراه الإسلامية ، ص 3

<sup>4</sup> - قصائد العلامة فضل حق الخيرآبادي، المخطوطة ، مكتبة مولانا آزاد ، جامعة عليجراه الإسلامية ، ص 7

له قصيدة هائية تشتمل على مائة واثنى عشر بيتا وقد خص نصفها الأخير  
لمدح النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أبياتها:

هو أول في الخلق أرسل آخر	وأذيع في زبر الأوائل صاته
فالرسل قد ختموا بأفضل مرسل	رفعت على درجاتهم درجاته
لم يعط يوسف ولا الخليل ولا ابنه	قسماته وقسيمه وأناته
مرقاة موسى الطور في الوادي طوى	والعرش فوق ذرى السما مرقاته
لم يعط داؤد أولا مولوده	سلطاناه وولاه وغزاته
الفضل كان موزعا بين الوري	فتجمعت في ذاته أشتاته
هو مظهر اسم الله تحوي ذاته	ما تحتوي اسماءه وصفاته
نور سراج قد تلالأ أولا	وسنا العوالم كلها جذواته
لـولاه لم يكن الوجود ولم يكن	فلك ولا آفاقه وجهاته <sup>1</sup>

وأما قصيدته الميمية فهي تشتمل على اثنين وتسعين بيتا ونصفها يتعلق  
الغزل والغرام، وأما النصف الأخير فهو في مدح النبي صلى الله عليه وسلم والدعا  
إليه للشفاعة، فيمدح العلامة سيد البشر صلى الله عليه وسلم:

أبو الناس أنسداهم يميننا	وأوفاهم جميعا بالنسدام
سما من في السما والأرض فخرا	فليس له سمى أو مسامى
مشاع الفضل منقسم العطايا	وما للفضل فيه من انقسام
فليس له عدل في اعتدال	وعدل أو قسيم في قسام
محي وحمي أباطيلا وحقا	فما أعلاه من ماح وحام <sup>2</sup>

يختم هذه القصيدة بالدعاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم طالبا منه  
الشفاعة إلى الله ليوفقه الحج والعمرة وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم في  
المدينة المنور، ويشفع له يوم القيامة للمغفرة، فيقول في هذا الشأن كما يلي:

ألا يا عاصمي من كل هول	ويا من حبل رأفته عصامي
تصرم جل عمري في الملاهي	وما لهوأي بعد من انصرام
فما لي غير لطفك من ملاذ	يكون به اعتضادي واعتصامي

<sup>1</sup> - قصائد العلامة فضل حق الخيرآبادي، المخطوطة، مكتبة مولانا آزاد، جامعة عليجراه الإسلامية، ص 30

<sup>2</sup> - قصائد العلامة فضل حق الخيرآبادي، المخطوطة، مكتبة مولانا آزاد، جامعة عليجراه الإسلامية، ص

فسل ربي ليود يني شيدا	بطيبة عند عزيزك الكرام
ويوزعني بحج واعتمار	فارغب في الحطيم عن الحطام
ويدخلني أزورك في حياتي	مزارك، مستكينا باستلام
وكن لي في ثرى قبري أنيسا	وكن لي شافعا يوم القيام
أنا الصادي فناولني شرابا	طهورا سائفا يروي أوامي
إلام أحوم عطشانا هيوما	وبحر نذاك غمر اللج طامي
عليك صلاة ريك ما تغنت	على ورق الغضا ورق الحمام <sup>1</sup>

وكان العلامة فضل حق عالما نحريرا وفيلسوبا كبيرا وأديبا أريبا وشاعرا فذاً وبلاغيا موهوباً ولم يكن له ند في ذلك الزمن في امتلاك نواصي اللغة العربية وآدابها في الهند وقد منحه الله ذكاء خارقا وذكرة قوية ولم يكن يقرأ شيئاً إلا كان يدّخره في ذهنه للأبد فبفضل هذه الذكرة القوية فقد تفرّغ من دراسة العلوم المتداولة في أقل فترة ممكنة وبدأ يلقي دروسا أمام طلبة العلم وهو ابن خمسة عشر عاما فالتاس كانوا يفتبطون بذهنه الوقاد وفهمه الأخاذ، ومن أحب موادّه العلمية كانت الحكمة والمنطق والفلسفة فكان يستتبط المباحث العلمية والقضايا الفلسفية بأسلوب عقلاني ولم يكن يكتب شيئاً إلا و كان يدعمه بالبراهين والدلائل القاطعة ، وكان يعترف بعلو كعبه في الفنون والعلوم الأنفة الذكر ألدّ خصومه وأشدّ معارضيه ويقول مولوي رحمن علي عن تفوقه العلمي:فاق أقرانه في علوم المنطق والفلسفة والأدب والكلام والأصول والشعر.<sup>2</sup>

ويقول منشي أمير مينائي عن علمه: أفضل الفضلاء وأكمل الكملاء مولانا فضل حق برد الله مضجعه، كان مجتهدا في الفنون الحكمية وأديبا كبيرا، ذكيا مدققا ومحققا انتفع به مئات من الناس حينما سافر إلى المدن.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - قصائد العلامة فضل حق الخيراتادي، المخطوطة ، مكتبة مولانا آزاد ، جامعة عليجراه الإسلامية، ص 18

<sup>2</sup> - المولوي رحمن علي، تذكرة علماء هند، ص 382 - 383

<sup>3</sup> - منشي أمير مينائي ، انتخاب ياد غار، ص 291

وكذلك يعبر النواب صديق حسن خان القنوجي عن رأيه عن العلامة قائلًا: إنه كان إمام وقته في العلوم الحكيمية والفلسفية بلامدافع غير أنه وقع في أهل الحق ونال منهم على تعصبه، وكان السبب في قلة الخبرة منه بعلوم السلف وطريقتهم في الدين واتباعهم للأدلة والواردة من سيد المرسلين مع ميل إلى البدع التي يستحسنها المقلدة، ولذا انتقد عليه عصابة من علماء الحق.<sup>1</sup>

ويمدحه السيد سليمان الندوي قائلًا: لقد أصبح مولانا فضل حق بن فضل إمام الخيرآبادي مثل ابن سينا عصرة لتفوقه وبراعته في المعقولات، فقد سافر إليه الطلبة من كل فج عميق، وروجوا المنطق والفلسفة في البلاد على طراز جديد.<sup>2</sup>

وكان العلامة مولعا بالشعر مند نعومة أظفاره، وفي البداية كان يعرض أبياته على أستاذه الشاه عبد العزيز الدهلوي ليقوم بتصحيحها، وفي فترة وجيزة بلغ العلام ذروة الكمال في الشعر والأدب حتى سبق على شعراء عصره ونظم قصائد بليغة وأشعارا متينة رصينة بأسلوب سليم عن الصنعة والتكلف. وترك ثروة شعرية لا يستهان بها، هي جواهر نادرة للأدب ولكن للأسف بقيت قصائده بين دفتي المخطوطات إما في المكتبات أو عند بعض الأشخاص ولم تر النور حتى الآن.

### الخاتمة

لا مرأ في ذلك أن الهند من الأمم العريقة ذات الثقافة والحضارة العالية القديمة، التي كانت لها على مر التاريخ صلات مع الأمم حولها لاسيما بلاد فارس والجزيرة العربية، ولكون أرض الهند خصبة وموسمها معتدلا وموقعها جذاباً على خريطة العالم رغب الأجانب في التجارة معها ثم السيطرة عليها وكذلك قامت الشركة الشرقية الهندية وسيطر عليها المستعمرين الأجانب ودوخوا البلاد والتهمت نار الثورة لإجلاتهم من البلاد ولكن أهالي البلاد فشلوا

<sup>1</sup> - النواب صديق حسن خان، أبجد العلوم، الجزء الثالث، ص 932

<sup>2</sup> - سيد سليمان الندوي: حيات شبلي، ص 22 - 23



في الثورة وشارك في هذه الثورة من العلماء والأدباء والشعراء المتضلعين في الثقافة والبارعين في اللغة العربية وآدابها وتكاتف الثوار المناضلين ضد النفوذ الأجنبي واستخدموا بدلا من العدة والعتاد أقلامهم وبرايعهم للمحاربة ضد العدو الغاشم الذي قد احتل البلاد بمنتهى المكر والخداع وكان من أبرز هؤلاء العلماء والمثقفين العلامة فضل حق بن فضل إمام الخيرآبادي (1797- 1961) الذي لعب دورا رياديا في استنهاض الهمم ورفع المعنويات للثوار والمكافحين في سبيل الحرية والاستقلال وهو في هذا الأمر لم يكن خائفا من قوة الاستعمار الأجنبي الذي كان بحوزته أسلحة فتاكة مدمرة ولسوء الحظ فشلت الثورة ونفي العلامة إلى جزيرة أندومان لقضاء بقية حياته فيها فلم يزل رهين الحبس في الجزيرة المذكورة حتى وافته المنية بتاريخ 20 من أغسطس 1961. وهنا كتب العلامة القصيدتين باللغة العربية وتكمن في طياتهما الأحوال الحقيقية عن المعارك التي دارت أثناء الثورة بين المواطنين الهنود ومستبديهم الغاشمين وعن المظالم والمحن التي مر بها العلامة خلال أيام سجنه في جزيرة أندمان، فهاتان القصيدتان وثيقتان تاريخيتان مهمتان لأن العلامة رأى كل ما حدث أثناء الثورة بعينه ثم ذكرها في كتابه الثورة الهندية نثرا وفي القصيدتين شعرا. ولم يكن له ند في ذلك الزمن في امتلاك نواصي اللغة العربية وآدابها في الهند وقد منحه الله ذكاء خارقا وذاكرة قوية ولم يكن يقرأ شيئا إلا كان يدخره في ذهنه للأبد ونظم قصائد بليغة وأشعارا متينة رصينة بأسلوب سليم عن الصنعة والتكلف. وترك ثروة شعرية لا يستهان بها، هي جواهر نادرة للأدب ولكن للأسف بقيت قصائده بين دفتي المخطوطات إما في المكتبات أو عند بعض الأشخاص وهي تحتاج إلى البحث والتحقيق والنشر ليستفيد بها الناس.

﴿.....﴾

## المصادر والمراجع

- 1- العلامة أبي حنيفة أحمد بن داؤد الدينوري، الأخبار الطوال، الطبعة الأولى سنة 1330هـ بمطبعة السعادة بمصر
- 2- العلامة فضل حق الخيرآبادي، مخطوطة الثورة الهندية، مع القصيدتين الهمزية والدالية، مكتبة مولانا آزاد، جامعة علي جراه الإسلامية.
- 3- قصائد العلامة فضل حق الخيرآبادي، المخطوطة، مكتبة مولانا آزاد، جامعة عليجراه الإسلامية.
- 4- العلامة عبد الحي الحسني، الثقافة الهندية في الهند. مجمع اللغة العربية دمشق، 1983م.
- 5- السيد غلام علي آزاد البلغرامي، سبحة المرجان في آثار هندوستان، معهد الدراسات الإسلامية، جامعة عليجراه الإسلامية، عليجراه، 1976.
- 6- أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء لكاناؤ، 1998م.
- 7- الدكتور عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند، مكتبة وهبة مصر، 1964م.
- 8- الدكتور عبد المنعم النمر، تاريخ الإسلام في الهند، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، 1959م.
- 9- قمر النساء، العلامة فضل حق الخيرآبادي مع تحقيق كتابه الثورة الهندية، المكتبة القادرية بالجامعة النظامية الرضوية، لاهور، 1985م.
- 10- مولوي رحمن علي، تذكرة علماء هند، باكستان هستاريكل سوسائتي، كراچي، 1961م.
- 11- السيد سليمان الندوي، حيات شبلي، دار المصنفين، اعظم جراه، 1985م.
- 12- منشي امير مينائي، انتخاب يادغار، تاج المطابع، لكاناؤ، 1290 هـ.
- 13- محمد سليمان المنصورفوري، علماء حق اور ان كي مجاهدانه كارنامي، فيصل بليكيشنز، ديوبند، 2003م.

## جامعة الفلاح نظرة في النشأة والتكوين

أ.د. مسعود عالم الفلاحي

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة خواجه معين الدين

الجشتي الأردنية والعربية والفارسية، لکناؤ- الهند. 226013

### ملخص البحث:

لإن جامعة الفلاح مدرسة عريقة في الهند، تأسست لتملأ الفراغ العلمي الهائل المتسع يوماً فيوماً مع كثرة المدارس والجامعات في الهند، واستوعبت الجامعة منذ أول يومها لفكرة التعليم الشامل التي تؤكد على طلاب المدارس الإسلامية ضرورة التسلح بكل من العلوم العصرية والدينية، فتم اعتماد المقررات الدراسية المعتدلة، واختير من الأساتذة مخلصين وماهرين في العلوم الإسلامية، ومن المربين خبراء في مجال التربية حريصين على عدة المستقبل وتخريج الرجال الأكفاء، وقدمت لطلابها ما أمكن لها من تسهيلات مناسبة للسكن والطعام وما إليها، فعادت الجامعة تثمر ثماراً حلوة لذيذة تتمثل في علماء قديرين وكتاب نابهين، ودعاة مخلصين ومؤلفين بارزين وأساتذة بارعين وخدام أوفياء للدين والعلم والأدب.

إن بحثي هذا يعطي صورة إجمالية عن هذه الجامعة ونشأتها وتكوينها

ونظامها ورجالها الأوائل وميزتها التعليمية والتربوية.

### نظرة في خلفية التأسيس:

فبشهادة التاريخ يُسجل أن الهند - قبل تورطها في حباله الاحتلال الإنكليزي - كانت قد فرضت نفسها على العالم كدولة تتفانى في خدمة الدين والعلم والأدب، فظل للعلم هنا لواء معقود وظل ممدود منذ مدة مديدة، ونجم على أرضها عباقره ونوابغ، أحاطوا جيدها بالفخار والعظمة؛ مما جعل الهند بُغية عطشى العلوم ومقصد العلماء في كل مكان، وكان كل شئٍ جارياً على عادته الطبيعية؛ حتى داهمها الاحتلال الإنكليزي عام 1857م، فوقف كل شئٍ لساعته كأنما أُلقي ماء على النار أو أقيم سد دون تيار.